تجارة لن تبور

١٤٤٦/٤/١٤هـ

﴿الخُطْبَةُ الأُوْلَى﴾

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئاتِ أَعْمالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] .

أَمَّا بَعْدُ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي اصْطَفانا، وَكَرَّمَنا، وَجَعَلَنا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْزَلَ لَنا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَجَعَلَهُ نُورًا، وَهُدًى، وَمَنْهَجَ حَياةٍ؛ لِنَتْلُوَهُ حَقَّ

تِلاوَتِهِ، وَنَتَدَبَّرَهُ، وَنَعْمَلَ بِما فِيهِ، وَحَذَّرَنا مِنْ هَجْرِهِ وَتَرْكِهِ، فَهُوَ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ، قالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» [أخرجه البخاري]، (خَيْرُكُمْ) أيْ: أَعْلَى دَرَجاتِ الْخَيْرِيَّةِ، وَالْخِطابُ لِلْأُمَّةِ عامَّةً؛ فَخَيرُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ؛ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ، وَعَلَّمَهُ غَيْرَهُ، وَالتَّعَلُّمُ وَالتَّعْلِيمُ يَشْمَلُ الْحِفْظَ وَالتِّلَاوَةَ، وَالتَّفْسِيرَ؛ فَكُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ التِّلاوَةَ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ، وَصارَ يُعَلِّمُ النَّاسَ، وَيُحَفِّظُهُمْ إِيَّاهُ، وَكُلُّ مَنْ تَعَلَّمَ التَّفْسِيرَ، وَعَلَّمَهُ لِغَيْرِهِ دَاخِلٌ فِي الْخَيْرِيَّةِ. فَعَلَى المؤْمِنِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَعَلُّمِ كِتابِ رَبِّهِ، قالَ ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ ماهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شاقٌّ لَهُ أَجْرانِ». [متفق عليه]. وَلا

عُذْرَ لِمُنْشَغِلٍ عَنْ كِتابِ اللهِ بَعْدَ نُزُولِ قَوْلِهِ تعالَى:

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

عِبادَ اللهِ: لَنا الْيَوْمَ وَقْفَةٌ مَعَ آيَةٍ مِنْ كِتابِ رَبِّنا، نَتَعَلَّمُها، وَنَتَدَبَّرُها، وَنَتَواصَى بِالْعَمَلِ بِما فِيها، يَقُولُ رَبُّنا ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: يُداوِمُون عَلَى تِلاوَتِهِ بِفَهْمٍ وَتَدَبُّرٍ، وَاتِّباعِ أَحْكامِهِ، ﴿يَتْلُونَ﴾: فِعْلٌ مُضارِعٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرارِ التِّلاوَةِ فِي أَيِّ وَقْتٍ؛ فِي

المسْجِدِ، وَالسَّيَّارَةِ، وَأَماكِنِ الِانْتِظارِ، يَتْلُونَهُ قَبْلَ وَبَعْدَ الصَّلَواتِ، وَجَوْفَ اللَّيْلِ، وَأَوْقاتِ فَراغِهِمْ، هَمُّهُمْ أَنْ يُكْتَبُوا مِنْ (أَهْلِ اللهِ وَخاصَّتِهِ)، يَتَعَلَّمُونَ، وَيُعَلِّمُونَ، فَهُمْ فِي ازْدِيادٍ مِنَ الْخَيرِ وَالْبَرَكَةِ وَالنُّورِ. قامَ النَّبِيُّ ﷺ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِآيَةٍ واحِدَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، وَهِيَ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. [حديث صحيح حسنه الألباني]. وَرَوَى الْبُخارِيُّ وَغَيْرُهُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» [أخرجه مسلم]. قال ﷺ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يومٍ إلى بُطْحانَ، أَوْ إلى العَقِيقِ، فَيَأْتِيَ منه بناقَتَيْنِ كَوْماوَيْنِ في غيرِ إثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يا رَسولَ اللهِ، نُحِبُّ ذلكَ، قالَ: أَفلا يَغْدُو

أَحَدُكُمْ إلى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ له مِن نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ له مِن ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ له مِن أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» [أخرجه مسلم].

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أَيْ: يُصَلُّونَها بِشُرُوطِها، وَأَرْكَانِها، وَواجِبَاتِها، وَسُنَنِها. قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: أَيْ: وَكُونُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، وَمِنْ أَخَصِّ ذَلِكَ وَأَكْمَلِهِ الصَّلَاةُ. وَقالَ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاتُكُم فِي بُيُوتِكُم إِلَّا المَكْتُوبَةَ». [أخرجه البخاري ومسلم]. وَقالَ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ تَطَوُّعًا حَيْثُ لَا يَرَاهُ النَّاسُ تَعْدِلُ صَلَاتَهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ» [رواه

البيهقي في شعب الإيمان]؛ يَقُولُ الشَّاطِبِيُّ: الْفَرائِضُ دائِمًا، أَوْ غالِبًا، تَكُونُ عَلَنًا، أَمامَ النَّاسِ؛ فَعَلَى المسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى صَلاةِ الْفَرِيضَةِ فِي المسْجِدِ مَعَ المسْلِمِينَ، وَيُصَلِّيَ النَّافِلَةَ فِي بَيْتِهِ؛ حَتَّى لا تَكُونَ الْبُيُوتُ قُبُورًا، لا تُقامُ فِيها الصَّلاةُ، وَحَتَّى يَقْتَدِيَ الْأَبْناءُ الصِّغارُ بِآبائِهِمْ.

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا﴾ أَيْ: يَحْرِصُونَ عَلَى إِخْفاءِ صَدَقاتِهِمْ، فَلا يَراهُمْ أَحَدٌ، فَإِخْفاءُ الْأَعْمالِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبُ لِإِخْلاصِها، وَالمؤْمِنُ لَهُ أَعْمالٌ صالِحَةٌ خَفِيَّةٌ، يَرْجُو بِها وَجْهَ اللهِ سُبْحانَهُ. وَوَرَدَ فِي الصَّحِيحِ: قالَ ﷺ: «سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وَذَكَرَ مِنْهُم: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفاها، حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ» [متفق عليه].

﴿وَعَلَانِيَةً﴾ عِبادُ الرَّحْمَنِ يُنْفِقُونَ سِرًّا وَعَلانِيَةً، عُسْرًا وَيُسْرًا، يُنْفِقُونَ سِرًّا إِخْلاصًا، وَسِتْرًا لِلْمُتَصَدَّقِ عَلَيهِ، وَيُنْفِقُونَ عَلَنًا حَتَّى يَقْتَدِيَ بِهِمْ غَيْرُهُمْ، وَهُمْ لا يَكْتَفُونَ بِالزَّكاةِ المفْرُوضَةِ الَّتِي يُسْتَحَبُّ فِيها الْعَلانِيَةُ، بَلْ بادَرُوا بِالصَّدَقاتِ الَّتِي يُسْتَحَبُّ فِيْها الْإِسْرارُ.

[تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٣، وتفسير القرآن العظيم لابن زمنين: ٤/ ٣١]. وَلا تَنْحَصِرُ الصَّدَقَةُ فِي أَهْلِ الْغِنَى وَالثَّروةِ، قالَ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمَلُ الْغِنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ» [أخرجه مسلم]. إِنَّ أَعْظَمَ أَنْواعِ الصَّدَقَةِ فَضْلًا، وَأَجْرًا، وَبَرَكَةً أَدْوَمُها، وَلَوْ كانَ قَلِيلًا، وَصَدَقَةُ الْمُقِلِّ فِيها بَرَكَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ السَّوادُ الْأَعْظَمُ.

﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾ أَيْ: رَجاؤُهُمْ فِي اللهِ دائِمٌ لا

يَنْقَطِعُ، فَهُمْ مُخْلِصُونَ فِي الْعِبادَةِ وَالطَّاعَةِ؛ لا يَرْجُونَ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيا، بَلْ يَرْجُونَ ما عِنْدَ اللهِ ﷻ، وَالمرادُ بِلَفْظِ ﴿تِجَٰرَةً﴾ هُنا ما أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوابِ، فَطاعاتُهُمْ مِنْ أَجْلِ الْجَنَّةِ، وَهُنا يَظْهَرُ لُطْفُ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ لِلْأَعْمالِ الصَّالِحَةِ لَيْسَ مِنْ فِطْنَةِ الْعَبْدِ وَلا هِمَّتِهِ، إِنَّما هُوَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ وَحْدَهُ، لا فَضْلَ لِلْعَبْدِ فِيهِ، وَمَعَ ذَلِكَ سَمَّاها اللهُ تِجارَةً.

﴿لَّن تَبُورَ﴾: لَنْ تَفْنَى، وَلَنْ تَخْسَرَ، وَلَنْ تَهْلِكَ. فَمَنْ كانَ عَمَلُهُ للهِ وَحْدَهُ لَنْ يَضِيعَ عَمَلُهُ.

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِما فِيهِ مِنَ الْآياتِ وَالْعِظاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ﴾

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالمينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلامُ عَلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الَّذِي عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ خَيْرٍ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. **أَمَّا بَعْدُ:** اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- أَنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ.

تَزَوَّدْ مِنَ التُّقَى فَإِنَّكَ لا تَدْرِي*

إِذَا جُنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ

فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ ماتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ*

وَكَمْ مِنْ عَلِيلٍ عاشَ حِينًا مِنَ الـدَّهْرِ

عِبادَ اللهِ: إِنَّ مَنْ يُداوِمُ عَلَى تِلاوَةِ كِتابِ اللهِ، حَيْثُ يَراهُ النَّاسُ، وَحَيْثُ لا يَرَوْنَهُ، وَيُصَلِّي الْفَرِيضَةَ فِي المسْجِدِ وَالنَّافِلَةَ فِي الْبَيْتِ، وَيُنْفِقُ سِرًّا وَعَلانِيَةً،

فَهَؤُلاءِ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْإِخْلاصِ، وَقَدْ زَكَّاهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾، وَقَدْ مَدَحَ اللهُ أَلْسِنَتَهُمْ بِعَمَلِ الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، وَمَدَحَ جَوارِحَهُمْ بِعَمَلِ الطَّاعاتِ بِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وَمَدَحَ أَعْمالَهُمُ الماليَّةَ بِالْإِنْفاقِ بِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، وَمَدَحَ قُلُوبَهُمْ بِالْإِخْلاصِ وَالرَّغْبَةِ فِيما عِنْدَ اللهِ وَحْدَهُ بِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾. كانَ قَتادَةُ ﷺ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَقُولُ: هَذِهِ آيَةُ الْقُرَّاءِ. [تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٢].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ

تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، وَسَائِرَ بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ نَرْجُو فَلاَ تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ.

اللَّهُمَّ وَاغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَانْصُرْ جُنُودَنَا، وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا خادم الحرمين،

اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمْ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا،

وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.